نصوص إلى
صاحب الابتسامة الجميلة
سيدرا عمر القزاز

نصوص إلى صاحب الابتسامة الجميلة

سيدرا عمر القزاز

الإهداء

إلى ذلك الغائب
الذي لن يقرأ و لن يعود

أتسألون كيف الحال بعد الفقد؟
إنه والله لا يُطاق
العالم يمشي و أنت فقط تقف مكانك
لا عودة ..... لا تقدم ..... و لا يدٌ تُربت على كتفك
للمواساة..

٣

السبت الكئيب من كل أسبوع

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة
اعتدت على أن يكون السبت من كل أسبوع يوماً كئيباً
و بغيضاً
يوماً يمرُ بصعوبة
أتحمل فيه ذكرياتٍ كل لحظة
و عندما يحل الليل لا يحصل شيء
أبكي فقط....

٤

قد مرَّ يوماً أخر... و أخر ... و أخر
و أنقض نهارُ السبت
ثم الأحد و الإثنين و أنت ما زلت غائباً عني
متى سيأتي اليوم الذي لن تَعد فيه غائباً؟
هل سيكون يوم الأحد أو الإثنين
أو لن يكون أبداً.....

٥

أنا الآن أكتبكَ بعد أن غبت
فمن سيكتبني حين أرحل؟

٦

مئة عامٍ من الفراق

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة

ها قد مرَّ العام الأول على الفراق
أشعر أنه مئة عامٍ من الفراق
عام كامل و ما زالت دموعي تملأ الوسادة في كل ليلة
لا زلت أنتظر قدومك كل ليلة
لا يزال قلبي يخفق بقوة حين يتردد أسمك على مسامعي
لا تزال قبضة قلبي كما هي في كل مرة أذكرك فيها

و كأنك ذهبت البارحة أو قبل ليلتين
و كأن طعم الفراق ما زال حديثاً
و كأنني لم أنتبه على حرق وجنتي بسبب دموعي
الحارقة في كل ليلة
طال الدرب يا عزيزي و ما كان ينتهي
و أنا قد مللت....
لا أريد أن أكمل تلك الرحلة
أريد فقط أن ألقاك
أن ألقاك فقط ....
تبدو أنها أمنية يستحيل تحقيقها هنا.

لا شيء أنا

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة

لا شيء أنا ... لا صُبح تدركه عيني ... لا ليل بعدك يؤنسني
و الدنيا ليست تلفتني ..... إحساسي مشغول عني .....
لا شيء أنا
أنا كُلي فيكَ و كلك بي..
أكاد أجن من فرط التفكير
لا أطيق هذه الوحدة
متى سآتي و ألتقي بك
أما حان موعدنا ؟

رسالة من وحي أحزاني

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة

لرُبما هذه رسالة لا داعٍ لها
لرُبما تكون رسالة غير مفهومة
لرُبما أنها أفكار مبعثرة
أحزانٌ منتشرة ... دموعٌ متناثرة
و لكنها لا شيء ...
أريد فقط الكتابة و إلّا سأنفجر
باكيةً على طرف الرصيف وسط الليل وحدي
و لا أحد يدري بي
لا أحد يسمع صوت صرخات فؤادي المتألم
فأنقذني قبل أن أفقد عقلي

دعني أكتب فقط..

١٠

لعل الكتابة تكون يوماُ ما يداُ تُربت على كتفي
في غيابك
لعلها تُلهيني عن ذكرى ذاك السبت
و لكن.....
كلما آتيت لأكتب أجدني أصف ذاك السبت
و قلما أتكلم عن شيء غيره

١١

أتعلم؟
لست أدري لمن ستصل هذه الرسائل
و من سيقوم بقراءتها و لكن أريد أن يعلم قارئها
أنني لست بمجنونة
أنا فقط مُحبة
مُحبة لدماء تناثرت و ملأت المكان
مُحبة لروحٌ غابت
مُحبة لإنسان أيقظ داخلي شيئاً
مُحبة لإنسان قد جعل مني شخصاً أخر
مُحبة لإنسان و أكتب له
رغم معرفتي بأنه لن يقرأ أبداً ما كتبت

لم أعد أرى شيئاً بعيني
فالدموع أغرقتها و شوشت رؤيتها
فقط أريدك أن تعلم
إننا جميعاً نشتاق لك
و بسبب هذا أكاد أن أجن
و رأسي ينفجر
عداك عن تمزق قلبي
و دموعي التي تركت ندبة كبيرة على وجنتي مع
استمرارها كل ليلة

أنا و ماركل فقط في الليل

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة

أنا و ماركل فقط في الليل
وحدنا نبكي على غيابك
ماركل، الشيطان الذي يشاركني بكائي كل ليلة
أول ليلة زارني فيها ماركل
كاد أن يكون بُكائي وحدي يُسمع الأصم
و لم أجد اليد التي أريد تمسح أدمعي
فرأيت ماركل
و بدلاً من أن يمسح دموعي أصبح يشاركني بهم
لنبكي سويةً على فراقك في كل ليلة
و يسمعنا الأصم و لا أحد يهتم .

لم أعد أنا

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة

لقد خسرت من وزني الكثير
و أحتل الجندي الأسود الأرض المُدمعة تحت مقلتي
و كاد الحزن أن يتكلم عني أمام الجميع بدلاً مني
قد تساقط شعري كثيراً
و احمرار وجنتيَّ لم يعد يفارقني بسبب حرقة الدموع
أصبحت أكتب لك بصعوبة بالغة
فأصابع يدي تصبح ثقيلة يوماً عن يوم
و تتحرك بصعوبة بالغة على الأوراق
و صوتي، تكاد بحة الحزن أن تخفيه
فأنا لم أعد تلك في غيابك..

لم أعد أنا

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة
ما عادت الحياة تغريني في بُعدك
أنا أقف في المنتصف
و الحياة فقط تمشي
و العالم يكمل دربه
و أنا أقف مكاني
لا عودة للوراء
و لا أستطيع المشي للأمام
أنا فقط أشاهد الحياة
و أنتظر....
أنتظر أن تقف

١٦

أريد أن أستفرغ مشاعري مرة واحدة

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة

أريد أن أسأل فقط
الدموع التي لا نذرفها أين تذهب ؟
الابتسامات المزيفة مع الغرباء من أين تنبع ؟
أين ذهبت ضحكات الناس المتفائلة ؟

١٧

أشعر أن مشاعري بأكملها تجلس على رأس فؤادي
تضايقني و تسبب لي الانتفاخ المفاجئ
يتفرغ على شكل دموع تسقط من عيني
فأشعر أنني أريد أن أستفرغ مشاعري دفعة واحدة
و لكن ...
فقط لا أستطيع أن أفعل
مشاعري تريد أن تبقى عالقة داخلي
لا تريد الخروج.

١٨

الرسالة قبل الأخيرة
عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة

كتبتُ رسالة سرية
ستكون تلك رسالتي الأخيرة في الحياة
و هذه ... رسالتي الأخيرة للآن
لم تعد الكتابة تفيد
بل أصبحت تؤلم أصابع يدي
و تؤلم عيني بكثرة
لهذا لن أكتب

١٩

لن أكتب لفترة طويلة
أريد أن ننفصل أنا و الكتابة
لربما يومان
لربما عامان
و لربما.. حتى نلتقي

أردت قول "إلى اللقاء فقط"

الرسالة الأخيرة

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة
صباح الخير
أنا مرهقة .... جدا
أشعر بخيبة الأصدقاء
خيبة الأماكن و الحياة
أشعر أنني أفتقد لشيء ما
ربما كانت الحياة
لست على علمٍ بما يجري
و لكنه لا يجري كما أريد
أعدك إن في عودتي سأتكلم كثيراً
أما الآن
إلى اللقاء .....

عُدت

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة

ألم تشتاق لي ؟
قد مرّ وقتاً كبيراً على أخر رسالة
تظنني قد نسيتك
و لكنني نسيت العالم
و بقيت أنت في ذاكرتي
لم ترحل أبداً
اشتقنا إليك كثيراً

الأيام تمرُ بصعوبة بالغة
أشعر أنني أمشي على جمر
و أحمل بين يداي حقيبة مليئة بالصخور
و على ظهري يُربط حبل معلق بجبل عالٍ
كيف سأستطيع المشي ؟
لم أبلغك سلامي منذ مدة
و لكن ....
ألم يبلغك الفراق إننا في بُعدك ذَبُلنا ؟

دامَ انتظاري

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة

ها قد حل فصل الخريف من جديد
فصل الحنين و الرحيل
و أنا لا زلت أنتظر قدومك
على الرغم من مرور العام الثاني على رحيلك عنّا
هل دام انتظاري طويلاً
أو أن القدر يُطيل لقائنا ؟

٢٤

أتظنني سأبقى أنتظر و لو مرّت خمسة عشر عاماً
أو سأنساك ؟
ربما أنسى سنين حياتي
ربما أنسى قلبي
ربما أنسى كل كياني و روحي
و لا أنساك .....

٢٥

من أبرز علامات الحزن
الأسود تحت العينان
فأنا أعلن الآن عن افتتاح معرض تحت عيناي بِ لوحات
اللون الأسود....

٢٦

إن أسوأ ما يحدث للأنسان
أن يكون قوياً بما يكفي
و يبكي .....

٢٧

سرٌ خطير

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة
أود أن أقول لك سراً خطيراً
منذ مرور العام الثاني على رحيلك
و قلمي خالٍ من أي نصوص
على ما يبدو إن الكتابة حتى تريد مفارقتي
أظن أنها مللت وحدتي
فماذا أفعل ؟

لماذا أناديكَ

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة

لقد رأت صديقتي دفتر رسائلي هذا
و سألتني :
لماذا أناديكَ يا صاحب الابتسامة الجميلة
وقفت مذهولة لفترة هكذا
و احترت الإجابة
إنه لسؤال صعب جداً
و لكن الذي تأكدت منه
إنها لم تراكَ تبتسم من قبل

قلبٌ يتيم

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة

اليوم و بعد ثلاثة أشهر قررت الخروج من المنزل
دون تحديد وجهة معينة
أردت فقط أن أمشي
إلى أي مكان
المهم أن يحتويني بعد اكتئاب دام طويلاً داخلي
مشيت كثيراً، دون وجهة أحددها
حتى ألتقيت بطفل صغير
يبكي على حافة الرصيف
لم أتقبل فكرة أن أكمل طريقي دون أن أكلمه و أساعده
على الأقل أربت على كتفه
أنه صغير جداً على البكاء وسط الليل
على طرف رصيف غير آمن
و ليلة باردة

اقتربت منه و سألته لماذا هو هنا
و بعد حديث طويل معه
لم تعد دموعي تستطيع الاختباء أكثر من هذا
فانفجرت باكيةً على دموعه
حتى اختلطت دموعنا
دموع يتيم الأهل
و يتيمة الفؤاد
و شعرت حينها كم دموع اليتيم تُقهر
فهل سنلتقي بكم ؟

الصديق

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة

جاء سؤال لأحد أصدقائك
هل فعلاً يفقد الأنسان جزء منه عندما يفقد أحدهم ؟
كان رد صديقك مؤلم حقاً
و الذي يؤلم أكثر أنه كان يقصدك بإجابته التي كانت
ليس جزء منه بل يفقد نفسه
لا أستطيع تخيل حجم ما عانوه أصدقائك من حزن
و آلام و مكابرة على كل هذا
كلٌ منهم في غيابك تغير
ليس للأسوأ أو الأفضل بل تغير داخلياً
أشعر أنني أرى بأعينهم دموع تختبئ تحاول الصمود

أرى بأعينهم حزن لا يستطيع أن يختبئ على الرغم
من ضحكاتهم و آمالهم
لرُبما لا يعرفونني و لم ألتقي بهم
لرُبما إذا قرأوا هذا سيتعجبون
من الممكن أيضاُ أن يقولوا من تلك الفتاة و ماذا تكتب و
من أين تعرف
و لكن هل تظن أن الشاشات لا تُظهر الحزن ؟
هل شاشة الهاتف الذكي تمسح الدموع
و تُرينا بدلاُ منها ابتسامة ؟

لا أبداً و إن رأينا ابتسامة
نحن نعلم أن ورائها دمعة تتمسك بالمقلة تحاول ألّا تسقط
لأن الإنسان عندما يكون قوياً لا يحب البكاء
و أن قام بالبكاء فإنه يبكي بين نفسه
عندما يبكي أمام الكثير، ينكسر
و هم أقوياء
ثم رحيلك أبكاهم
و أبكانا .....

٣٤

أتمنى يوماً
بعد رحيلي
أن يكتبني أحدهم
و لو صفحة واحدة
أو كلمة
لا يهم

٣٥

أنا على قيد الحياة
عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة

أنا على قيد الحياة
و للحلم بقية ...
لن أدع الحزن ينتصر أبداً
فإنني لا أريد الموت قهراً
و لا أريد الرحيل هكذا
لا أريد أبداً

٣٦

انتظرني فقط
و لو مرت أيام طويلة
انتظرني

٣٧

بعد خمسة و عشرون عاماً

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة

قد مضى خمسة و عشرون عاماً
حقاً مضت ليست بمزحة
قبل خمسة و عشرون عاماً
لم أكن أظن أنني سأكتب
هذه الرسالة
طيلة هذا الوقت كنت أكتب لك
بشكل يومي
و لكن هنا لم أكتب منذ مدة طويلة
طويلة جداُ

و لست أقصد بِ طويلة جداً
بضعة أشهر
بل سنواتٍ حقاً
أشعلت شمعتي و أطفأت الأنوار
و جلست أسترجع ذكريات ما كتبته لك
وجدتني كنت أكتب لك كل ما شعرت به
في كل يوم، كل لحظة
في كل موقف، كل ذكرى
و تركت هذا منذ فترة

لم أترك الكتابة لك
بل أصبحت أكلمك أكثر في داخلي
و لكن ليس ك كلام قبل
و أصبحت أفعل
أحقق ما كنت أريد
و مثلما أخبرتك أخر رسالة
كنت شغوفة للحياة من قبل مثلما كُنتَ أنت
حتى لو انطفأت بعيني
و لكن ما زال بداخلي روح
لذلك أنا حيّة
يجب أن أكمل طريقي مهما كان

أنت أكملت رسالتك في هذه الحياة
ثم ذهبت
و لكن ....
ماذا عن رسالتي التي كُنت أحلم دوماً أن
أقوم بإيصالها
حين فقدت لذة الحياة داخلي
شعرت أن لا دور لي هنا
و لا رسالة لي
شعرت تلك المدة أنني على هامش الحياة
و كنت لا شيء ... لا شيء حقاً

كنت أعتقد أنه يكفي
ليس عليّ المحاربة و المواصلة بسبب ما عانيته من حزن
إلى أن فكرت أكثر
و تذكرت كم كُنتَ شغوفاً بهذه الحياة
و لم يكن أي شغف
كنتً ذاك الشاب الطموح
الذي لن يقف أبداً حتى يحقق ما يريد
حسناً لم يكن هناك وقت لتحقيق كل شيء
و لكن ....
يكفي أنك قمت بإيصال الرسالة
تلك التي خُلقت من أجلها
و رحلت بعد إيصالها

و هنا كان لا بُد أن أفكر
من سيؤدي رسالتي عني لو رحلت أنا أيضاً ؟
من سيحقق حلمي ؟
لا أحد .. فقط لا أحد
لأنني النسخة الوحيدة من نفسي
و لا يمكن لأحد أن يقوم بدور أخر
هذا السبب فقط الذي جعلني أنهض
و لم أنهض فقط
نهضت بقوة
قوة كبيرة جعلت مني امرأة تُحترم
و وصلت إلى ما كُنت أريد

غسلت وجهي من أثار الدموع
و نفضت غبار الحزن عن ثوبي
و رممت وجهي من جديد في كل صباح
و ذهبت في أول خطوة
الخطوة التي كانت الأصعب دائماً
تخطيتها ...
ثم بعد تلك الخطوة
سلكت الدرب
حتى وصلت

أصبحتُ نجماً يلمع في السماء
يتردد اسمي في كل مكان
كَ امرأة قوية
حققت أحلامها و تحملت ألامها
و أصبحت في نهاية الطريق ما كانت تتمنى
هل تعلم ؟
حين أنظرُ إلى كُل ما فعلتُ
أشكر اللّٰه على معرفتي لك
لأنك كنت السبب في حزني الواعي
ثم إنقاذي منه
ثم جعلت مني بهذا أفضل امرأة في التاريخ

الآن تنهدت تلك التنهيدة
التي عَلقت داخلي
منذ خمسة و عشرون عاماً
حبستها داخلي منذ ذاك الوقت
و كلما كُنت أتراجع عن خطواتي
أذكر تلك التنهيدة التي تقتل داخلي
فأكمل
أما الآن أصبح بإمكاني
أن ألقيها من جوفي
نحو السماء
أودعها و لا تعود أبداً

و الآن أيضاً أطفأت شمعتي
تلك التي أشعلتها في أول طريقي
لِتُنيره ....
أقوم الآن بالنفخ عليها
و أراقب حركة الدُخان الذي خرج منها
و كأنه تحرر و أخيراً
و أنطلق نحو السماء
بعد أن أحرق نفسه داخل شمعتي
من أجل دربي ....
أطفأتها و أغمضت عيني
أوصلت رسالتي، فأصبح بإمكاني الرحيل
و الالتقاء بك ...

و لكن في النهاية
سأعرض لك رسالتي التي أخبرتك
أنها ستكون رسالة سرية
احتفظت بها معي
لمدة خمس و عشرون عاماً
و كلما بكيت كانت رسالتي تلك
يداً تُربت على كتفي
و لم تَكُف يوماً عن مسح أدمُعي
يمكنك أن تقرأها الآن
أما أنا الآن
وداعاً .....

وداعاً فقط ...

رسالتي السرية

عزيزي يا صاحب الابتسامة الجميلة
طيلة تلك الفترة
لم تجف أدمعي أبداً
و لم يهدأ قلبي يوماً
أشعر أنني فقط فتاة تائهة
فتاة تريد البكاء
فتاة حزينة
أما الآن
أنا قوية

من أجلي
و عائلتي و حياتي
و ... أنت
كلما أذكر ما كُنتَ تفعله
أشعر أن ذلك بمثابة دواء لي
و هذه الرسالة لم تكن لك
أنها دوائي
لأنني فقط أريد أن أنهض
دون وقوع
أردت النهوض فقط
و هذه الرسالة للنهوض دون وقوع
حتى أجعلكَ و عائلتي تفتخرون بي
هذا فقط ما أريده من رسالتي السرية
و قد فعلتها .

٥١

إننا أحياء
و للحلم بقية .....

٥٢

ملاحظة
النصوص من وحي الخيال
غير حقيقية
إلا البعض منها كان حقيقياً للغاية
و المشاعر
هي التي كانت حقيقة وسط كل هذا
كل الأحترام والحب للشخصيات التي كتبت عنها
أردت فقط أن أقوم بتوصيل أحساس الفقد عن طريق
واقع قد رأيت البعض عاشه و إن رأيتهم عاشوه من
خلف الشاشات فقط
لهذا ذكرت تلك الشخصيات
ثم كل الحب والأحترام لكم
و في النهاية لا ننسى ان ندعوا بالرحمة لأمواتنا أجمعين
دمتم سالمين ....

النهاية